الفصل الثالث عشر

سقوط استراتيجية رامسفيلد!

«نحن نعمل فى مناطق يحظى بها المهاجم (العدو) بميزة كبرى.. حيث يستطيع الهجوم فى أية لحظة وفى أى مكان.. ومستخدماً أى تكنيك. والخيار الوحيد المتاح أمامنا هو أن نطارد هؤلاء الإرهابيين ونهاجمهم حيثما كانوا.. وهذه مهمة صعبة جداً.. وتتطلب قدرات تفوق قدرات البنتاجون وحده».. بهذه الكلمات يشرح وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد أبعاد المأزق الذى وقعت فيه أمريكا.. وهو يعترف ضمناً بصعوبة المواجهة.. وعدم ضمان نتائجها.

ورامسفيلد رائد التغيير الاستراتيجى الذى شهدته الولايات المتحدة فى مجال الدفاع.. بل فى مجالات أخرى عديدة ترتبط به وتؤثر فيه. وهو فى البداية والنهاية يتحمل سقوط تلك الاستراتيجية أو النظرية التى اصطدمت بصخرة المقاومة العراقية.. ويتحمل سقوطها أخلاقياً ومعنوياً فى سجن أبى غريب.. وما خفى كان أعظم!!

وعلى مدى العقود الأربعة الماضية.. كان دونالد رامسفيلد يقوم بدور (المنقذ) للولايات المتحدة.. سواء كان فى داخل الإدارة أم خارجها! كان يتم استدعاؤه خلال الأزمات والشدائد.. اعترافاً ببراعته وحنكته وخبراته الطويلة المتراكمة. وللأمانة فإنه تولى منصبه قبل هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بتسعة أشهر.. أى قبل أخطر الأزمات التى تواجهها الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية. فهل هى مصادفة أن يتم استدعاؤه لهذا المنصب الخطير.. قبل الأزمة؟!.. أو أن شيئاً كان يتم إعداده وراء الكواليس.. فى انتظار أزمة طارئة أو مصطنعة؟! عموماً فقد تولى رامسفيلد مهمة صعبة خلال إدارة الرئيس جيرالد فورد.. ففى أعقاب فضيحة ووترجيت قام رامسفيلد برئاسة هيئة موظفى البيت الأبيض.. محاولاً استعادة وحدتها وهيبتها التى لوثتها الفضيحة.. فهل كان رامسفيلد الرجل المناسب.. فى الوقت المناسب.. وللمهمة المناسبة.. دائماً؟!

أصغر وزير دفاع

رامسفيلد ذو تاريخ عسكرى ومدنى وحكومى حافل.. فقد عمل طياراً بحرياً.. وكان وزير الدفاع الأمريكى رقم (١٣).. وهو أصغر وزير للدفاع فى تاريخ الولايات المتحدة.. كما تولى رئاسة هيئة موظفى البيت الأبيض.. وعمل سفيراً للولايات المتحدة

لدى حلف الناتو.. وعضواً بالكونجرس لدورات عدة.. ورئيساً لعدة شركات كبرى. وقد تخرج فى جامعة برينستاون وخدم فى البحرية فيما بين عامى ٥٤ - ١٩٥٧. وتولى وزارة الدفاع عام ١٩٧٥ (للمرة الأولى).. وانتخب لعضوية مجلس النواب عام ١٩٦٢ وكان عمره ٣٠ عاماً فقط واستمر به حتى عام ١٩٦٨ ليلتحق بعدة مناصب رسمية. وأصبح سفيراً لدى الناتو عام ١٩٧٣. وبعد انتهاء ولايته بوزارة الدفاع عام ١٩٧٧.. اتجه إلى العمل الخاص وتولى قيادة عدة شركات فى مجالى الأدوية والتكنولوجيا. وكان مبعوثاً خاصاً للرئيس الأمريكى إلى الشرق الأوسط فيما بين عامى ٨٣ - ١٩٨٤.

رسمياً.. يقوم رامسفيلد الآن بقيادة حروب الولايات المتحدة ضد ما يسمى بالإرهاب فى أعقاب هجمات ١١ سبتمبر التى أحدثت تغييراً عميقاً فى استراتيجيات البنتاجون. وفى إطار هذا التغيير الراديكالى.. قام البنتاجون بتطوير استراتيجية دفاعية جديدة.. تقوم على إلغاء نهج الاستحواذ على أعداد ضخمة من القوات.. واستبداله باستراتيجية جديدة أنسب للقرن الحادى والعشرين. واقترح رامسفيلد على الرئيس بوش إجراء إعادة تنظيم شامل لهيكل القيادة العالمية الأمريكية.. وعرفت باسم (خطة القيادة الموحدة) التى نتج عنها تأسيس: (القيادة الشمالية الأمريكية) و(القيادة الاستراتيجية

الأمريكية). وتقوم الأخيرة بالمهام التى كانت تقوم بها سابقاً (القيادة الفضائية والاستراتيجية) التى تم حلها. وفى عهد رامسفيلد.. قام البنتاجون بإعادة تركيز القدرات الفضائية الأمريكية.. وصاغت مفهوماً جديداً للردع الاستراتيجى بما يسهم فى تدعيم الأمن الأمريكى مع تقليل الأسلحة النووية الاستراتيجية. ولزيادة قدرات الردع.. أعاد رامسفيلد تنظيم برنامج بحوث واختيارات الدفاع الصاروخى (الذى كان يعرف باسم حرب النجوم).. وحظى البرنامج بمزيد من الحيوية والنشاط.. خاصة مع تحريره من قيود معاهدة الصواريخ الباليستية.

واستراتيجية رامسفيلد- فى جوهرها- تقوم على الهجوم الاستباقى أو الوقائى.. بمعنى: اضرب عدوك (سواء كان دولاً مارقة أم منظمات إرهابية أم أفرادا) قبل أن يضربك. ولتنفيذ هذه الاستراتيجية فإن خطط الجيش الأمريكى تشمل نشر أسلحة نووية صغيرة (تكتيكية). ولحماية الولايات المتحدة من عمليات الانتقام المحتملة تم نشر مظلة مضادة للصواريخ (الدرع الصاروخى). ويقف رامسفيلد وراء إعطاء قوة الدفع لتلك الخطة.

وعندما عرض الرئيس الأمريكى تصوره لحرب الفضاء فى مايو ٢٠٠١ (قبل أحداث سبتمبر).. قال: نحن فى حاجة إلى وضع

إطار جديد يتيح لنا إنشاء (قاعات صاروخية لمواجهة التهديدات المحتملة لعالم اليوم.. ولا توجد أية معاهدة تمنعنا من مواجهة التهديدات التى نتعرض لها اليوم). وقام رامسفيلد بشرح خطة بوش قائلاً: (تحت قيادة الرئيس بوش قمنا بإعادة الحيوية لبحث الدفاع الصاروخى.. سواء فى مجالات التطوير أم الاختبارات.. وقد تم بالفعل نشر أولى الدفاعات الصاروخية التجريبية). وقد جاءت استراتيجية الهجمات الاستباقية لتلغى كل نظريات الاحتواء والاتفاقات والمعاهدات التى شكلت جوهر العمل الدبلوماسى الدولى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

الفوضى المنظمة!!

وقد يؤدى هذا الوضع الجديد الخطير.. مع إلغاء المعاهدات والاتفاقات وتوسيع نطاق الحرب ليشمل أغلب أنحاء العالم.. وكل مكان وكل إنسان تعتقد واشنطن - وواشنطن فقط - أنه إرهابى أو يضم إرهابيين. هذا الوضع الجديد الخطير يمكن أن يؤدى إلى ما يشبه الفوضى الشاملة أو بمعنى أدق الفوضى المخططة والمنظمة! وما يحدث فى العراق هو أبرز مثال على ذلك، فالهدف الاستراتيجى هو إشاعة الفوضى وعدم الاستقرار فى قلب الأعداء.. ونقل الحرب إلى أراضيهم.. بل فى أعماقها..

ووفق استراتيجية رامسفيلد.. فإن مظلة الدفاع الصاروخى ليست مجرد مشروع بحثى أنيق.. ولكنه وسيلة لضمان أمن الولايات المتحدة.. أى إن الفضاء هو أحد المحاور الأساسية للاستراتيجية العسكرية الأمريكية الجديدة. وكما أكد رامسفيلد: «أكثر من أية دولة تعتمد الولايات المتحدة على الفضاء لضمان أمنها.. واستمرارها مزدهرة. ويجب علينا أن ننتبه من احتمالات الخطر التى نتعرض لها وأن نعمل على حماية ونشر مصالحنا فى الفضاء».

لذا فإن تلك الخطط الحربية الفضائية تشمل إمكانية استخدام الأقمار الصناعية والشبكات الإلكترونية لإسقاط الصواريخ الأرضية.. وأيضا لإسقاط الأقمار المعادية. وكما قال وزير الدفاع الأمريكى: «فإن أحد التحولات الرئيسية التى يشهدها البنتاجون تركز على سلسلة من الأهداف.. من بينها الحفاظ على حرية الوصول إلى الفضاء دون عوائق وحماية القدرات الفضائية الأمريكية من هجمات الأعداء. ونحن نريد الاستعداد لأشكال جديدة من الإرهاب.. بما فى ذلك الهجوم على قدراتنا الفضائية.. والهجمات الإليكترونية على شبكاتنا المعلوماتية على صواريخ كروز والصواريخ الباليستية والأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية. وفى ذات الوقت يجب أن نعمل

على تأكيد مجالات تفوقنا وتميزنا.. مثل قدرتنا على نشر قواتنا العسكرية لمسافات بعيدة.. ودقة التصويب التى تحظى بها أسلحتنا.. واستخباراتنا الفضائية.. وقدراتنا الكامنة فى أعماق البحار والمحيطات».

وفى مقابلة أخيرة مع رابطة الصحف الأمريكية كشف رامسفيلد عن جوانب ضعف استراتيجيته.. وعوامل قوة العدو.. قائلاً: «لننظر إلى نوع القدرات التى نواجهها.. وهى جوهرية. وإذا فكرنا مليا فى هذا الأمر فسوف نعلم أن وزارتنا (البنتاجون) منظمة ومدربة ومجهزة لقتال الجيوش الكبرى.. والبحريات الكبرى.. والقوات الجوية الكبرى. وهذا ما لا نقوم به الآن. إذ يجب علينا التعامل مع الشبكات الإرهابية.. ويجب علينا التكيف على العمل فى تلك المناطق الواسعة غير المحكومة التى تتزايد فى عالم اليوم».

وهذا هراء، لأن خطط رامسفيلد هى التى أسهمت فى توسيع نطاق الإرهاب، وهى التى أسهمت فى زيادة مساحة الفوضى.. وفى تدمير الحكومات والحكام الذى لا يسيرون مع مخططاتها وأهوائها.

يواصل رامسفيلد شرح أبعاد استراتيجيته.. ويعترف بأخطائها قائلاً: «نحن نعمل فى مناطق يحظى بها المهاجم بميزة

كبرى. فالإرهابى يستطيع الهجوم فى أية لحظة وفى أى مكان.. مستخدماً أى تكنيك. ولا توجد أية وسيلة فى العالم يستطيع أى شخص أو مجموعة من الدول أن تدافع فى كل مكان وفى أية لحظة.. وباستخدام كل تكنيك. ومعنى هذا أن الخيار الوحيد المتاح أمامك هو أن تطارد هؤلاء الإرهابيين وتهاجمهم حيثما كانوا.. وهذه مهمة صعبة.. بل صعبة جداً. وهى تتطلب قدرات تفوق قدرات البنتاجون على رغم تجاوز ميزانيته ٤٥٠ مليار دولار لأول مرة!! وهى تعنى أننا نتعامل مع تهديد إرهابى يمكن أن يأخذ ويستغل كل تكنولوجياتنا.. أيا كانت: أجهزة الكمبيوتر الشخصية والمحمولة.. البريد الإلكترونى.. وسائل الاتصالات السلكية. يستطيع العدو استغلال كل تلك التكنولوجيات دون إنفاق دولار واحد».

ومن خلال كلام رامسفيلد تتضح عدة نقاط جوهرية:

• فهو يعترف أولاً بمزايا (العدو) ومرونة الحركة التى يتمتع بها الإرهابيون، وأيضاً بتفوقهم التكنيكى (كما حدث فى حرب ميناء تصدير النفط فى البصرة مؤخراً بقوارب صغيرة وسريعة).

• وهو يعترف ثانياً (بضآلة) قدرات وزارته البنتاجون - على رغم ضخامتها الهائلة التى تفوق ميزانيات عشرات الدول

النامية! وهذا مؤشر على أن حروب رامسفيلد بدأت تلقى بظلالها وأعبائها الثقيلة على الاقتصاد الأمريكى.

● وهو يشير - من حيث لا يقصد - إلى أن اتساع نطاق الحرب ضد الإرهاب هو ميزة للعدو، وخطأ أو نقص استراتيجى كبير للمهاجم الذى يجب عليه الذهاب إلى حيث يوجد العدو (الخفى).. وحيث ينتشر فى كل الأنحاء.. حتى فى العمق الأمريكى! ويجب ألا ننسى أو نتناسى أن أمريكا هى التى أسهمت فى خلق هذه الأوضاع المأساوية لنفسها والعالم.

● العيب الرابع الخطير فى استراتيجية رامسفيلد، والذى يتأكد كل يوم مع استمرار وتصاعد الحرب ضد الإرهاب، هو أن الولايات المتحدة أصبحت أكثر خطراً أو تهديداً نتيجة تلك الحرب.. وليس العكس. بل إنه يمكن القول بأن واشنطن تسهم فى إنشاء حضانات جديدة لتفريخ الإرهاب والإرهابيين.. فى كل مكان تخوض فيه حرباً جديدة.

خطايا استراتيجية

وعلى رغم خبرات السنين وتراكم التجارب لدى الوزير رامسفيلد.. فإنه يسير فى طريقه مندفعاً.. رافضاً الاعتراف بأخطائه. إنهم يرفضون الاعتراف بارتكاب أخطاء استخبارية

قبل ١١ سبتمبر.. يرفضون الاعتراف بأخطاء السياسة الخارجية الأمريكية قبل الحرب على العراق.. وخلالها.. وحتى الآن. ومن أبرز التطورات التى شهدتها العراق نتيجة أخطاء استراتيجية رامسفيلد ثورة الشيعة واتحادها مع السنّة.. لتشمل أنحاء العراق المحتل.. ليسقط الرهان على التمزق الطائفى والعرقى والمذهبى للعراق. كل هذه الخطايا تؤكد سقوط وفشل استراتيجية رامسفيلد.

ولعل المدخل الصحيح لإنقاذ (المنقذ) رامسفيلد ولإنقاذ الولايات المتحدة ذاتها من أزمتها يكمن فى الاعتراف بخطأ تلك الاستراتيجية.. التى كانت تقوم على القيام بعمليات عسكرية سريعة ومحدودة.. خلافاً لاستراتيجية كولن باول - التى قدمها عندما كان رئيساً لأركان الجيش الأمريكى - وتقوم على استخدام قوات ضخمة يتم استخدامها وفق أهداف سياسية واضحة.. وفى إطار استراتيجية محددة لإنهاء الحرب والمعركة. وهما العنصران اللذان تفتقدهما الولايات المتحدة الآن فى العراق.

وقد تأكد سقوط استرتيجية رامسفيلد التى تقوم على نشر قوات أرضية محدودة.. مع انعدام الشرعية الدولية التى تنطلق منها واشنطن لشن تلك الحرب. بل إن المتابع للأحداث يلاحظ مدى تخبط الاستراتيجية الأمريكية وعدم وضوح أهدافها التى

تتغير من آن لآخر.. وفق تطور الأحداث.. وردود الأفعال. كما نتج عن هذه الاستراتيجية الفاشلة والتخبط الأمريكى الواضح.. بروز أوضاع جديدة خطيرة لم تكن فى الحسبان داخل العراق.. مثل اتساع نطاق عمليات الخطف.. وكمائن المقاومة العراقية.. بل مبادراتها بالهجوم.. حتى إن شهر أبريل شهد سقوط حوالى ١٤٠ جندياً أمريكيا (رسمياً).. أى أكثر من العدد الذى سقط أثناء العمليات الحربية الكبرى!!

كما أن ارتفاع معدلات القتلى والخسائر الأمريكية والدمار الهائل الذى تشهده المدن العراقية - خاصة الفلوجة - تذكر العالم والأمريكان تحديداً بكارثة فيتنام.. بل بكارثة قد تفوق فيتنام وتشكل جراحاً أعمق وأخطر منها.

كل هذه الأوضاع المأساوية تذكر العراقيين أيضاً بعهد صدام وخطاياه.. وبأن الاحتلال لم يكن أفضل منه.. والشواهد واضحة وبيّنة أمام الجميع. وتبددت كل الوعود الجميلة والديمقراطية والحرية التى عرضتها واشنطن.. تبددت على مذبح الأخلاق والمبادئ فى سجن أبى غريب.. وفى الفلوجة والنجف.!!

كما أن رامسفيلد يزعم أن القوات الأمريكية المزودة بأحدث التكنولوجيات تستطيع الانتصار بسهولة فى أية معركة. فى أى مكان بالعالم.. كما أنه زعم أن قوة ودقة الأسلحة الأمريكية

تعوض نقص عددها وتحرر واشنطن من طلب المساعدة وقوات الحلفاء!! والواقع الحالى يشير إلى العكس تماما، فهو يطلب الآن المزيد من القوات من كافة الدول.. حتى العربية والإسلامية.. بل إنه يستعين بعشرات الآلاف من قوات المرتزقة.. لتنهار المبادئ والقيم والحريات التى تدعو إليها واشنطن.. بأيدى هؤلاء الجنود المأجورين.

واتجه رامسفيلد نحو الاستعانة بقوات الناتو.. أو بقوات تحظى بغطاء الأمم المتحدة.. على رغم أن الحرب ذاتها انطلقت دون تفويض من المنظمة الدولية. ولعله لم يستفد من تجربة بوش الأب الذى حشد العديد من الدول وتحرك فى إطار قرارات المنظمة الدولية لتحرير الكويت ووضع نهاية محددة للحرب.. لم يتجاوزها. أى إنه كانت لديه استراتيجية واضحة الأسس والمعالم.. والبداية والنهاية.

انعدام الأمن فى العراق أكبر الأدلة على سقوط استراتيجية رامسفيلد.. فهو لم يستطع توفير الحد الأدنى من الأمن لقواته.. ناهيك عن المواطن العراقى البسيط المطحون تحت ترسانة أعتى القوى الاستعمارية. وانعدام الأمن لا يعود لتصاعد المقاومة فقط، بل لتصاعد معدلات الجرائم المختلفة: الخطف والنهب والسلب والاغتصاب.. فى مختلف أنحاء العراق. كل هذا يؤكد

عمق أزمة أمريكا.. وفشل (النموذج) الذى تريد تقديمه للشرق الأوسط.. الكبير!! بل انتشرت الميليشيات لتوفير الأمن للعراقيين.. بعد عجز قوات الاحتلال عن ذلك.. وعجز الشرطة التى أقامتها كما استعان الجيش الأمريكى بضباط حزب البعث السابقين لإعادة النظام إلى الفلوجة .. وهذا يمثل شهادة لنظام صدام على رغم خطاياه - وشهادة أخرى - أهم وأخطر - بسقوط استراتيجية رامسفيلد. ولعل هذا التعاون يذكرنا بالألعاب البهلوانية السرية التى كانت قائمة بين واشنطن ونظام البعث. فهل بدأت حقبة جديدة من تلك اللعبة الخطيرة على حساب الشعب العراقى.. ومن أجل إنقاذ واشنطن من ورطتها.. أيا كان الثمن؟!

إن طبيعة وتاريخ العراق تفرض الاستعانة بجيش ضخم وحاكم مركزى قوى لإدارته وتوجيه قدراته وثرواته.. وليس عشرات الآلاف من الجنود. ولعل هذا هو الذى دفع رئيس الأركان الأمريكى السابق إيريك شينسكى إلى القول: (لقد كنا بحاجة إلى مئات الآلاف من القوات لغزو العراق واحتلاله وتوفير الأمن لشعبه)! كما أن التطورات الخطيرة التى يشهدها العراق يجب أن تدفع واشنطن لإعادة النظر فى سياستها والبحث عن حل سياسى للصراع الذى بدأته. يجب عليها الاعتراف بالوقائع

الجديدة على الأرض (كما تحاول تبرير صفقة الضمانات التى قدمتها لشارون). كما أن رامسفيلد نفسه اعترف بالفشل فى التنبؤ بمستوى العنف الذى تشهده العراق.. قبل الغزو. وقال للصحفيين: «لم أعتقد أننا سنفقد هذا العدد من الجنود.. ولم يكن أحد يستطيع تصور الحال الذى نحن فيه الآن.. قبل الغزو» (مع العلم أن الأسبوعين الأولين من أبريل شهدا سقوط مائة جندى أمريكى).

وخلال الثمانينات من القرن العشرين قام رامسفيلد- ورفيقه ديك تشينى نائب الرئيس الأمريكى حاليا- بالمشاركة فى برنامج سرى أثناء إدارة الرئيس ريجان. وعلى رغم أنه كان يمارس العمل الخاص فى تلك الفترة.. إلا أنه كان يتوجه بعد انقضاء عمله نهاراً إلى قاعدة أندروز الجوية خارج واشنطن. ومن هناك كان ينضم إلى رامسفيلد وتشينى فريق يشمل نحو ٤٠ إلى ٦٠ مسئولاً فيدرالياً مع عضو من إدارة ريجان.. ثم يتوجهون جميعاً إلى مكان ناء بالولايات المتحدة.. مثل قاعدة عسكرية غير مستعملة.. أو مخبأ سرى تحت الأرض. وتنضم إليهم قافلة من الشاحنات التى تحمل أجهزة الاتصالات المتطورة.. إلى موقعين مختلفين.

كان كل من رامسفيلد وتشينى لاعباً رئيسياً فى واحد من أكثر البرامج السرية فى إدارة الرئيس الأسبق ريجان.. وفى إطار ذلك البرنامج.. نفذ المسئولون الأمريكيون تدريبات مفصلة ومخططة هدفها الحفاظ على استمرارية عمل الحكومة الفيدرالية أثناء وبعد حرب نووية محتملة مع الاتحاد السوفيتى. ووفق هذا البرنامج.. تتم تنحية القواعد القانونية والدستورية جانباً فيما يتعلق بخلافة الرئيس الأمريكى فى بعض الظروف الاستثنائية.. واستبدالها بإجراء سرى لاختيار رئيس جديد مع هيئة موظفين.

كما كانت تلك الفكرة تقوم على أساس التركيز على سرعة التحرك للحفاظ على استمرارية الحكومة وتجنب الإجراءات الدستورية البطيئة المعتادة فى هذه الظروف. وقد جاءت فكرة البرنامج السرى من داخل إدارة ريجان ذاتها وليس من خلال رامسفيلد أو تشينى.. وكلاهما لم يحظ بمنصب رسمى أثناء إدارة ريجان.. باستثناء رامسفيلد الذى عمل مبعوثاً خاصاً للرئيس إلى الشرق الأوسط لفترة محدودة. وعلى رغم ذلك فإن كلاً من رامسفيلد وتشينى قام بدور رائد فى إطار هذا البرنامج السرى. وأهمية هذا البرنامج أنه يفسر نمط تفكير وسلوك إدارة الرئيس بوش الحالية خاصة بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فقد

أمر رامسفيلد نائبه وولفويتز بالخروج من واشنطن.. وحث تشينى رئيسه بوش بالبقاء خارج العاصمة.. وتحرك تشينى نفسه نحو سلسلة من المواقع السرية.. وتم إيفاد مسئولين فيدراليين آخرين فيما بعد للعمل خارج العاصمة لضمان استمرارية الحكومة فى حالة وقوع المزيد من الهجمات الإرهابية يوم ١١ سبتمبر أو بعده.

كل هذه الخطوات والتحركات تعود جذورها إلى البرنامج السرى الذى تم إقراره وتطبيقه والتدريب عليه خلال إدارة ريجان. وشارك كل من رامسفيلد وتشينى فى تلك التدريبات السرية التى كانت جزءاً فى إطار خطة أشمل لتهيئة الرأى العام للاستعداد لحرب نووية محتملة. والإطار العام لتلك الخطة يقول: إنه فى حال تعرض الولايات المتحدة لهجوم نووى أو فى حالة توقعها هذا الهجوم يتم إيفاد ثلاثة فرق من واشنطن إلى ثلاثة مواقع مختلفة بأنحاء الولايات المتحدة.. ويتم إعداد كل فريق لتولى قيادة البلاد.. وأن يضم كل فريق عضواً من الإدارة تم إعداده وتأهيله ليكون رئيساً محتملاً للولايات المتحدة، وإذا نجح الاتحاد السوفيتى فى تحديد وضرب الفريق الأول.. يتولى الفريق الثانى المهمة.. وهكذا مع الفريق الثالث. ولم تكن تلك مجرد خطة نظرية أو تجريدية فقط.. بل تم التدريب عليها

وتحديد تفاصيلها. وكان كل فريق يحمل لونا معينا.. أحمر أو أزرق.. على سبيل المثال. كما يضم كل فريق مسئولاً تنفيذياً مخضرماً يمكن أن يعمل رئيساً لهيئة موظفى البيت الأبيض. والمرشحون لهذا المنصب خدموا فى مستويات تنفيذية عليا، وكان كل من رامسفيلد وتشينى رئيساً لهيئة موظفى البيت الأبيض فى إدارة فورد. وتوقف العمل فى ذلك البرنامج السرى حتى وقوع هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. لتعيد إليها الحياة والحيوية!

المسئول الأكبر

وعلى رغم تعدد المشاركين فى تغذية التيار المتطرف واليمين المحافظ داخل إدارة بوش.. فإن رامسفيلد يتحمل المسئولية الكبرى عن الكارثة التى حلت بالعراق.. فهو قائد حروب واشنطن ضد الإرهاب.. وغير الإرهاب. وهو يتحمل مسئولية حملات الكذب والخداع فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل المزعومة.. وهو المسئول عن مزاعم ارتباط نظام صدام بتنظيم القاعدة، ومحاولة ربط أبى مصعب الزرقاوى بما يجرى فى العراق. والأهم من ذلك فإن رامسفيلد هو المسئول الأعلى عن ممارسات الخزى والعار التى ارتكبها ويرتكبها جنوده و(مجنداته) فى العراق عامة.. وفى سجن أبى غريب خاصة. وحتى لو فازت وانتصرت

أمريكا عسكرياً فى العراق.. فإن التاريخ سوف يسجل عليها سلسلة من الخسائر الفادحة المروعة.. بدءاً من الحروب غير المشروعة التى فتحت أبواب جهنم لنمو وازدهار الإرهاب.. ثم إنها بهذه الحروب أعادت سباق التسلح بكل أشكاله - التقليدية والنووية والكيماوية والبيولوجية - على مصراعيه.. ففى ظل انعدام الأمن سوف يسعى الجميع لاقتناء السلاح.. خوفاً من تصاعد البطش الأمريكى.

أما الأخطر من ذلك كله.. فإن الولايات المتحدة - والعسكرية الأمريكية تحديداً - قد فازت باحتقار العالم وازدرائه بعد نشر صور فضائح سجن أبى غريب. وهذه المشاهد لا تعكس سوى جانب ضئيل من الواقع المخزى فى العراق.. هذا الواقع الذى يجرى التعتيم عليه بكل الوسائل والضغوط. ولعل ما أزعج إدارة بوش - ورامسفيلد خاصة - ليس حدوث تلك الفظائع والخطايا التى يرتكبها (المحرّرون) الأمريكيون.. ولكن الذى أزعجها وأقلقها هو نشر تلك الصور بعد ستة أشهر من حدوث المأساة!! نعم ستة أشهر كاملة من التعتيم والستار الحديدى الأمريكى على الإعلام.. على رغم أن القادة العسكريين كانوا يعلمون ماحدث. وخلال تلك الأشهر شن رامسفيلد نفسه هجمات قاسية على وسائل الإعلام العالمية عامة.. والعربية خاصة.. حتى كاد

المرء يتصور رامسفيلد رقيباً إعلامياً يتفوق على نظرائه فى عهد ستالين. لسنا ندرى لماذا يهاجم رامسفيلد الإعلام ولا يهاجم جنوده ومجنداته المخطئين؟.. لماذا لا يعترف بأخطائه وبسقوط استراتيجيته.. ليس فى العراق فقط.. بل وفى مواجهة الحرب ضد الإرهاب.. بصفة عامة؟!

❑❑❑